لغة الدراسة المصطلحية

الدكتور: هشام خالدي
المركز الجامعي يحيى فارس
بـالمـدية – الجزائر-

تقديم:

إن موضوع هذا العرض يشير الملحوظات الآتية التي يحسن ذكرها في مفتتحه، وهي:

أولا: إن الدراسة المصطلحية تنتج خطابا لا يمكن أن يتحقق خارج إطار اللغة، ويمكن الحديث إجمالا، عن ثلاثة وجوه أو مستويات لغوية انطلاقا من مقتضيات عنوان هذا العرض:

1 –الوجه الأول: هو اللغة المشتركة وهي أداة التواصل بين أصحابها ووسيلة الأدب مثلا في مستواه الإبداعي الإنشائي والأديب يتصرف في الرصيد اللغوي المشترك من مفردات اللغـــة ومعانيهـــا النحوية ينتج خطابا ذا خصوصية.

2 –الوجه الثاني: هو اللغة الواصفة التي تتخذ من ذلك الخطاب موضوعا لها.

ويشكل المصطلح عصبها الحيوي فهي لغة خاصة أي عرضية خاصة كما قال القدماء.

3 –الوجه الثالث: هو اللغة الواصفة من الدرجة الثانية، أي أنها لغة واضحة للغة واصفة[1]، والمقصود بها هنا ذلك الخطاب الذي ينتجه دارس المصطلح ويكون موضوعه المصطلحات التي اســتعملها صاحب اللغة في مستواها الثاني.

ثانيا: لقد حصل تراكم لا بأس به في مجال الدراسة المصطلحية عامة، والدراسة النقدية[2] والأصـــولية خاصة، ومن الواجب أن يصاحبه أو يعقبه تأمل فاحص[3]، يهدف إلـــى "بنـــاء" أو "صـــياغة" الجهـــاز المصطلحي الواصف الماثل في الدراسات المنجزة.

وموضوع التأمل في هذا العرض هو لغة الدراسة المصطلحية (مفردات وتراكيب) في صورتها الواقعة المتمثلة في كتابين رائدين هما:

1. مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين[4].

2. مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين، قضايا ونماذج[5] للأستاذ الشاهد البوشيخي.

ثالثا: إن اللغة[6] من أعظم الوسائل وأصلها في المجال الوصفي بدرجتيه:

1 -درجة النص العلمي المدروس: ويتمثل في النصوص النقدية التي يشتمل عليها كتاب البيان والتبيين للجاحظ، كلام الشعراء الجاهليين والإسلاميين شعرا ونثرا.

2 -درجة النص العلمي الدارس: ويتمثل في الكتابين المذكورين وينصب الاهتمام في هذا العرض على هذه الدرجة من خلال محورين هما:

1. محور لغة الحد أو التعريف.

2. محور مجموعات الألفاظ أو المصطلحات الواصفة.

لغة التعريف (الحد):

أولا: معنى الحد: أول ما ينبغي الخوض فيه هنا بيان معنى (الحد) أو (التعريف)[7] ولقد اهتم المناطقة وعلماء الأصول بتعريفه وشروطه وانقسامه.

إن حد الشيء هو "الوصف المحيط بمعناه، المميز له من غيره"[8]، ومدار حد الحد اصطلاحا على أنه "القول الدال على ماهية الشيء"[9] أو "شرح لفظ المحدود وبيان نسبته إليه"[10] وهو بذلك "تعريف كامل، وتحليل تام، لمفهوم اللفظ المراد تعريفه"[11] ومثوله بالمقال المشهور: "الإنسان حيوان ناطق"[12].

ثانيا: أبرز خصائص التعريف في الكتابين:

إن للتعريف في الكتابين المدروسين عدة خصائص منها:

1 -غلبة التعريف بالإيجاب أو التعريف الموجب وقد وردت نماذج قليلة للتعريف السالب مثل تعريف (البلغاء):

"هو غير الشعراء من أهل الأدب الذين أصبحت البلاغة بمعناها الأول، صفة راسخة فيهم، مميزة لعن عن غيرهم..."[13].

2 -التعريف الغائي أو المصيري، وله أمثلة كثيرة أظهرها وأقواها في الدلالة على الغائية تعريف (الأدب):

- هو الكلام الجميل الذي يزود الإنسان بما يحتاج إليه من غذاء عقلي ونفسي في الحالين: "الجد والهزل"[14].

3 -التحليل والاستدلال: ويتجلى ذلك في صيغ مختلفة كاستعمال لام التعليل، وكلمة (بديل) و (لذلك) وأكثر ما تستعمل لام التعليل في متن التعريف، وقد ترد في ذيله، أما الباقي من الصيغ فلا يرد إلا في ذيل التعريف ومن ذلك (بلاغة اللسان): "هي في الغالب البلاغة بالمعنى الأول مضافة، ولذلك ضادت "معي في قول سهل" والمألوف في المعاني: "هو الذي – لكثرة استعماله– لم يعد مستغربا[15] بدليل مقابلته الوحشي، وذكره في سياقه بالاستعمال في النص التالي..."[16] وقد يرد الاستدلال في الهامش.

4 -الإجمال فالتفصيل: وه كثير وغالبا ما يتحقق باستعمال حرف (أو) و (أم).

5 -إيراد التشبيهات وضرب المثل: وهذا غير "التعريف بالمثال"[17]. أو "التعريف بالشواهد"[18] إنه يتوسل في الغالب بكاف التشبيه و"كأن" الدالة على التشبيه المؤكد.

ثالثا: خصائص لغة التعريف:

أ– أن الدارس حريص في كتابيه على استعمال الألفاظ المألوفة المعروفة سواء كانت اصطلاحية أم لغوية، وإذا كان الإشكال فيما هو اصطلاحي فإن الألفة من شأنها أن تجعل الحد معلوما لا مجهولا إن اشتهار الأنماط المستعملة لطبيعته ووظيفته، ذلك أن المقصود بالحد إنما هو شرح لفظ المحدود وبيان

نسبته إليه، فإن قولنا "الإنسان الحيوان الناطق" حد صحيح مع أن السامع يجب أن يكون عالما بالحيوان والناطق وإلا لكان حدنا وقع بالمجهول، والتحديد بالمجهول لا يصح كما يقول القرافي.

ونظرا لهذه الاعتبارات، اشترط العلماء في الحد شروطا، يهمنا منها هنا ما يتصل بألفاظه المستعملة فيه. وأهم الأهم أربعة، ذكرها القرافي في قوله: "ويحترز فيه من التحديد بالمساوي، والأخفى، وما لا يعرف إلا بعد معرفة المحدود، والإجمال في اللفظ"[19].

وذكرها الشيخ هبد الرحمن الأخضري في (متن للسلم) حيث قال:

"وشرط كل أن يرى مطردا منعكسا وظاهرا لا أبعدا

ولا مساويا ولا تجوزا بلا قرينة بها تحرزا

ولا بما يدرى بمحدود ولا مشترك من القرينة خلا"[20]

1 -التحديد بالمساوي في الجهالة والأخفى (الأبعد):

وهذا واضح فيما يتصل بتعريف "الماهية المفردة" إذا حاولنا تعريفها بدلالة المطابقة كما يقول الرازي.

2 -التحديد بما لا يعرف إلا بعد معرفة المحدود:

وهو "ما يدري بمحدود" والاحتراز منه راجع إلى أن توقف معرفة التعريف أو المعرف على معرفة المعرف يؤدي إلى الدور والدور عندهم ممتنع, والدور يقع إما بمرتبة ويسمى دورا مصرحا, وإما بمراتب ويسمى دورا مضمرا.

3 -التحديد بالمشرك الخالي من القرينة:

ويجوز العلماء ووقوع الاشتراك في الحد إذا لم يكن خاليا من القرينة المعينة للمراد.

4 -التحديد بالمجاز الخالي من القرينة:

ويتضح من تأمل نصوص الكتابين التي تمثل القسم التطبيقي فيها أن البنية اللفظية للتعريف أو الحد تتميز بالخصائص الآتية:

1. استعمال ألفاظ معروفة مألوفة:

ومن هذه الألفاظ: المدح، والقصائد، كما نجد استعمال ألفاظ وتراكيب يمكن وصفها بأنها حديثة ومثال ذلك عبارة "قيمة تعبيرية" في تعريف (المثل) بمعناه الأول: "المثل هو القول الذي –لكثرة جريانه على ألسنة الناس– اكتسب قيمة تعبيرية خاصة، جعلتهم عند تشابه الحال لا يجدون أبلغ منه وأوجز في تصوير ما بأنفسهم والتعبير مرادهم"[21].

2. استعمال ألفاظ معرفة:

من خصائص التعريف في الكتابين استعمال ألفاظ اصطلاحية سبق تعريفها. وهذا الأمر يضمن للتعريف القدرة على أداء وظيفته البيانية، ويمكن المتلقي من تبيين مقصود الدارس من غير لبس أو تردد وتحير.

وأمثلة ذلك كثيرة منها لفظة أو مصطلح (الموثق) في تعريف (الأنسق من الكرم) "هو الذي يكون موثقا أكثر من غيره" وقد تستعمل في التعريف مصطلحات مدروسة في (المعجم)، إلا أنها تالية للمعرف في الترتيب الذي سار عليه الدارس. وهنا تأتي ضرورة النظر إلى المعجم باعتباره كلا متكاملا.

ومن أمثلة ذلك استعمال مصطلحي (البيان) و(البلاغة) في تعريف (الآلة): "الآلة هي ما لا وجود ولا تمام للبيان أو ما في معناه من بلاغة وغيرها، إلا بوجوده وتمامه"[22].

3. إعادة ألفاظ أو تراكيب وردت في تعريف سابق:

ويتجلى أحيانا في المصطلحات التي بينها علاقة ما كالخصوص والعموم. مثال ذلك مصطلحات (الحبسة) و(الحكلة)، فقد تكررت فيهما عبارة (العجز النطقي) مطلقا في (الحبسة) لعمومها، وموصوفا بالشدة في (الحكلة) لخصوصها.

4. بناء تعريف نصطلح على تعريف آخر:

- بناء الجمع على المفرد: وشواهده في الكتابين كثيرة، منها قول الدارس عن (الأشعار) في استعمال "الشعراء" "جمع شعر"، و"المدائح جمع مديح بالمعنى الاسمي"، و"البيوت جمع بيت".
- البناء على المصدر: ويتجلى في خمس صور هي:
  - بناء اسم المفعول على المصدر: مُؤَبِن...اسم مفعول من التأبين بمعنى منسوب.
  - بناء اسم التفضيل على المصدر:
  - بناء صيغة المبالغة على المصدر:
  - بناء الصفة المشبهة على المصدر:
- بناء المؤنث على المذكر:

إن هذه الصور كلها من البناء بسيطة لا واسطة فيها بين المبني والمبني عليه، وهي أكثر ورودا إذا قورنت بصورة البناء المركب، حيث تشكل المصطلحات المبني بعضها على بعض سلسلة مترابطة الحلقات، تصل في بعض الحالات إلى خمس، ومثاله هذه الصورة:

المصدر (1) ← المصدر (2) ← اسم الفاعل ← الجمع ← اسم التفضيل

ومثال المثال:

المدحة (ب) ← المدح المصدري ← المادح ← المادحون ← أمدح

رابعا: حروف الحد:

الحروف المستعملة في حدود الكتابين كثيرة ومتنوعة، وأكثرها استعمالا: الـــلام، وأو، وأم، وكـــاف التنبيه،وكأن، وأقلها استعمالا: قد، وإلا، وسنتوقف في هذا العرض على الأربعة الأولى:

أ –اللام (لام التعليل): وهي واقعة في متن التعريف وفي ذيله، أما ما وقع في المتن فمثاله تعريف (الأوابد): هي الأبيات الباقية على أبدهم سائرة لجودتها النادرة"[23].

ب –"أو" التقسيمية: ذكر العلماء لهذا الحرف من حروف العطف معاني كثيرة نظموها في هذين البيتين:

بـــ"أو" خير، أبح، قسم، وأبهم وفي شك، وإضراب، تكون

ومثل "ولا"، و"واو"، أو لنصب بإضمار، لحرف، لا يبين

والفائدة منها: 1/ تنويع أسلوبي, 2/ تنويع مقترن بالمعنى.

ج– "أم" المتصلة:

د– "أي" التعبيرية: وردت في اثني عشر موضعا من الكتابين ثلاثة أرباعها وردت بكتاب ومصطلحات نقدية وبلاغية.

III/ المجموعات المصطلحية الواصفة:

إن الدارس المصطلحي بخاصة أحوج ما يكون إلى ذلك لأن موضوع بحثه وتأمله هو الألفـــاظ الاصطلاحية التي تتركز فيها خلاصة الفكر أي فكر كان، وتنشأ بينها صـــلات وروابـــط غريبـــة لا يتصور معها إدراك معزول للمصطلح في غياب باقي المصطلحات في النظام المصطلحي فهـــو فـــي حاجة إذن إلى ألفاظ مصطلحية واصفة للعلاقات والفروق بين المصطلحات المدروسة وممدة له بمـــا يلزم لوصف وجوه المقارنة الممكنة وحياة المصطلح، وأحواله، وصفاته، وبيان مدى اصطلاحيته. إن المتأمل للكتابين (مصطلحات نقدية وبلاغية) و(مصطلحات النقد العربي)، يكشف رصيدا مصـــطلحيا واصفا غنيا، تقتصر منه على المجموعات الآتية:

أولا: مصطلحات الائتلاف:

أ –إن الائتلاف يعبر عن خصوص في العلاقة بين مصطلحين أو معنيين لوجود صلة أو رابطة بينهما. ذلك أن مصطلح العلاقة في استعمال الكتابين المدروسين لا يختص للائتلاف.

ب –وينطوي نحن لواء (العلاقة) المفاهيم الآتية:

1. الترادف: إضافة لفظة "علاقة".
2. العموم والخصوص من وجه: "... فالعلاقة بينها وبينهما إذن هي العموم والخصوص من وجه...".
3. العموم والخصوص المطلق: وشاهده في الترادف.

ج– علاقة الترادف:

1. يدل الترادف في اللغة التتابع قال ابن منظور: "الترادف التتابع"[24].
2. ويدل في اصطلاح الكتابين على تعدد الدال لنفس المدلول".

ثانيا: مصطلحات الاختلاف:

وأشهرها التضاد والتقابل وهي تندرج في منظومة المصطلحات الدالة على الفروق بين الألفاظ الاصطلاحية المدروسة.

ثالثا: مصطلحات الصفات والأحوال:

1/ الاسمية، 2/ الوصفية، 3/ المصدرية، 4/ التقييد (الإضافة) والإطلاق، 5/ العدد: جمعا وإفرادا، 6/ التعريف والتنكير، 7/ التأنيث والتذكير.

رابعا: مصطلحات المقارنة:

1 – تدل المقارنة في اللغة على الموازنة في (المعجم الوسيط): قارن الشـــيء بالشـــيء: وازنه به (محدثة)، والأظهر أن تكون بين نظيرين أو متكافئين.

2 – واستعمل مصطلح (المقارنة) في الكتابين للدلالة على نوعين من الموازنة:

أ – موازنة داخلية تقوم بين مصطلحات المتن المدروس.

ب –موازنة خارجية يقيمها الدارس بين تحديده وتحديدات الدراسين.

3 – إن جهة المقارنة المماثلة في الكتابين هي:

أ – جهة الزمن: جدما وحدوثا، وظهورا، وذكرا.

ب –جهة الاستعمال والورود: كثرة وقلة، وعدما وزمانا، وصيغة، وسياقا.

خاتمة:

1. انصب اهتمام هذا العرض على اللغة الواصفة من الدرجة الثانية المتمثلـــة فـــي لغـــة التعريـــف، ومجموعات الألفاظ الاصطلاحية الواصفة لعلاقات المصطلح، ائتلافا واختلافا، ولصـــفاته، وأحوالـــه، وجهات المقارنات، داخلية كانت أم خارجية.

2. وتمت الإشارة إلى أبرز خصائص التعريف في الكتابين المدروسين، وعمق البحث في الخصائص المتصلة بلغته وألفاظه وهي:

أ– استعمال ألفاظ معروفة أو مألوفة.

ب– استعمال ألفاظ معرفة.

ج– إعادة ألفاظ أو تراكيب وردت في تعريف سابق.

د– بناء تعريف مصطلح على تعريف آخر، وينحصر (بناء المفرد علـــى الجمـــع)، و(البنـــاء علـــى المصدر)، بصوره، و(بناء المؤنث على المذكر).

3. وصرفت العناية إلى حروف الحد مثل (لام التعليل) و(أو التقسيمية)، ...

4. ولعل من نتائج هذا العرض:

أ- محاولة وصف اللغة المصطلحية المتمثلة في كتابي (مصطلحات نقدية وبلاغية) و(مصطلحات النقد العربي) وصفا يمكن من إظهار دور التطبيق في إغناء النظرية.

ب- إبراز مدى النضج الذي يمكن أن نجنيه من الربط بين الجهود الحاضرة والغابرة في ميادين الدراسة المصطلحية.

5. ولعل من الآفاق التي يفتحها هذا البحث ضرورة الاهتمام بالتطبيق, أي بالدراسات المصطلحية وتتبعها ووصفها، مع الاقتصار في هذه المرحلة على وصف ما يتعلق بالحد قديما وحديثا.

الهوامش:

1) مقدمة في علم المصطلح (ضمن قاموس اللسانيات)، عبد السلام المستي، الدار العربية للكتاب، 1981، ص13، 16.

2) مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين، قضايا ونماذج د. الشاهر البوشيخي ط1 ، دار القلم 1413هـ-1993م، ص25، وما بعدها.

3) تقوم من ذلك التراكم مقام فلسفة العلم من العلم.

4) مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين.د. الشاهر البوشيخي، ط1، دار الآفاق الجديدة بيروت 1402هـ-1982، ص132.

5) نفسه، ص133.

6) في مستواها الاصطلاحي.

7) المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ط1 ، دار الكتاب اللبناني، 1971، 304/1.

8) نفسه1/ 447.

9) نفسه 447/1.

10) قضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب الشرقي د. عبد العلي الودغيري، ط1 منشورات عكاظ، الرباط، 1409هـ-1989م، ص 288.

11) المعجم الفلسفي 447/1.

12) مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين، الشاهر البوشيخي، ص(106-107).

13) نفسه، ص106-107.

14) نفسه، ص61.

15) نفسه، ص 100.

16) نفسه، ص74.

17) مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين، الشاهر البوشيخي، ص242.

18) من قضايا المعجم العربي قديما وحديثا: د. رشاد الحمزاري، ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت 1986، ص167.

19) شرح تنقيح الفصول، القراخي (شهاب الدين أبي العباس أحمد بن. إدريس الصنهاجي) المغرب، ص08.

20) شرح القوسيني على متن السلم. الشيخ حسن القوسيني، المكتبة التجارية الكبرى. مصر. ص 40- 41.

21) مصطلحات بلاغية ونقدية في كتاب البيان والتبيين، الشاهد م البوشيخي ، ص213

22) نفسه، ص83.

23) نفسه، ص49.

24) لسان العرب، ابن منظور، (ردف).